مذكراتي من كابل إلى بغداد الجزء الثالث

بعد أن أنهيت التدريب في المعسكر غادرت متوجهاً إلى باكستان وبالتحديد إلى بيت الشهداء من حيث أتيت وكنت خلال طريق عودتي أراجع ذكرياتي في تلك الأيام الجميلة واللحظات السعيدة التي قضيتها في المعسكر متأملاً في تلك الذكريات لحظةً بلحظة ذلك الحماس أثناء الرماية على الأسلحة والتعب والإرهاق أثناء التمارين الصباحية والمسيرات الليلية والحراسة في أليالي المظلمة وتسللنا في الليل إلى المطبخ للبحث عن بقايا خبز أو طعام نسد به جوعنا والعقوبات التي تطبق أثناء مخالفات الأنظمة ، هي ذكريات لا يشعر بالأنس بها إلا من ذاق حلاوتها وعاش أيامها ، وبعد الوصول إلى بيشاور توجهت إلى بيت الشهداء أنا والمهرب الأفغاني الذي أوصلني وكان البيت كما تركته كثير الناس كثير الحركة ولكن تغيرت الكثير من

الوجوه فقد غادر أناس وجاء آخرين ثم سلمت على الإخوة وبحثت عن مكان للنوم فلم أجد إلا علـــى ســـطح المـــترل لامتلاء المترل بالشباب وبعد الاستراحة بيومين والتجول في محلات عصائر المانجو ومطاعم بيشاور مثـــل "شـــيراز " و " العثمانية " و "شيف" كنوع من الانتقام من أيـــام الجـــوع والتقشف المفروض علينا في المعسكر ، بعـــدها بـــدأت في الموضوع الرئيسي الذي جاء بي إلى أفغانستان وهو الذهاب للبوسنة وسألت الإخوة في إدارة المـــضافة عـــن أمكانيـــة الذهاب للبوسنة فأخبروني أن الطريق للبوسنة مازال مغلـــق وأن كثير من الشباب في المـــضافة يرغبـــون في الـــذهاب للبوسنة ولكنهم لا يجدون طريقاً إلى ذلك وهم منذ أشـــهر ينتظرون فتح الطريق ولم يحصل شيء وقد اتصلوا بأكثر من مكان لعلهم يجدون طريقاً من خلال أي دولة ولكـــن دون فائدة لحظتها أصبت بإحباط شديد فقد تعنيت وجئـــت إلى هنا من أجل الإعداد حتى أتمكن مـــن الـــذهاب للبوســـنة وصادف أن التقيت في المضافة بشاب جاء من بلاد الحرمين وآخر من اليمن منذ أيام قليلة وذكروا أن جميـــع الطـــرق

المؤدية إلى البوسنة مغلقة وهو سبب مجيئهم حتى يتدربوا إلى أن يفتح الطريق ، لم أعرف ما أعمل وقتها فما جئت من أجله لم يتحقق وفي نفس الوقت لم أرغب في العودة لبلدي وأصبحت في حيرة وكنت أسمع وقتها من الشباب عن طاجيكستان وعن الوضع هناك وكيف أن المسلمين هناك يعانون من الإبادة والتهجير على يد الروس وعملائهم الشيوعيين وسمعت عن دور المجاهدين هناك وعملياتهم وعن وجود المجاهدين العرب في طاجيكستان وصادف وجود بعض الشباب كانوا يرغبون في الذهاب إلى هناك فبدأت بالسؤال عن طاجيكستان أكثر حتى أعرف حقيقة الوضع هناك وكنت أشعر وقتها بالاقتناع بالذهاب إلى هناك كونه لا يوجد طريق إلى البوسنة وكنت تعرفت على أحد الشباب من بلاد الحرمين كان يستعد للذهاب إلى هناك وأخبرته نيتي لمرافقته إلى طاجيكستان فرحب بذلك وكان هذا الأخ هو أبو مالك النجدي "ماجد العموشي رحمه الله "فذهبنا إلى مضافة القائد خطاب رحمه الله في منطقة بابي خارج بيشاور ورتبنا أمورنا بحيث حصلنا على أوراق تعريف من "حزب

النهضة الطاجيكي"وهو الحزب الذي يقاتل الحكومة وقتها ورئيس الحزب هو "عبدالله نوري" ، والغاية من هذه الأوراق حتى نستخدمها أثناء عبورنا في مناطق القتال بين الأحزاب في أفغانستان ، وبعد ترتيب أمورنا انطلقنا باتجاه أفغانستان حتى نعبرها باتجاه طاجيكستان والمثير في هذه السفرة أنها أخذت من وقتنا خمسة وعشرون يوماً وهذا لم يكن في الحسبان .

دخلنا أفغانستان من منطقة "طورخم" حيث يوجد مقبرة الشهداء العرب الذين قتلوا في أفغانستان في الجهاد الأفغاني مع الروس والشيوعيين بعدها توجهنا إلى "جلال آباد" المدينة ذائعة الصيت التي ارتوى ثراها بدماء الكثير من المجاهدين العرب وهي من المدن الكبيرة داخل أفغانستان وكانت حينها تحت سيطرت الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار والسبب في ذلك كون سكانها من العرق البشتوني وهم موالون لحكمتيار كونه بشتوني العرق ، أثناء عبورنا داخل المدينة لفت انتباهي مدى بساطة الحياة فيها ومدى الفقر الظاهر على الناس هناك ورأيت ما فاجأني هناك حيث

رأيت بعض الأفغان ممن يعتنقون الديانة "السيخية" وهم مميزون بطريقة لبسهم لعمائمهم و للحاهم وشواربهم الطويلة فاستغربت لوجودهم وعلمت أنهم يعيشون هناك منذ سنين طويلة ، ثم توجهنا إلى كابل حيث بقينا لعدة أيام فيها وسكنا في حي "وزير أكبر خان" وهو في وسط المدينة تقريباً وهو حي في مقرات الهيئات الإغاثية الدولة وفيه عدد من سفارات الدول الأجنبية فكنا نخرج أحياناً من المترل لشراء ما نحتاج من أكل وأحياناً لمجرد الإطلاع على ما حولنا ، وحقيقة لم أستطع استيعاب ما رأيته في كابل تلك المدينة التي خسر المجاهدون الأفغان مليون ونصف شهيد حتى يحرروها من يد الشيوعيين ، وما رأيته لم يكن هو ما تتوقعه من نتائج بعد سنوات طويلة من الجهاد فقد كانت المدينة في حالة فوضى من الفساد الأخلاقي الرهيب فقد كانت بيوت الدعارة في كل مكان والنساء متبرجات بكثرة في الشوارع ويلبسن القصير والجيتر والموسيقى تصدح في كل مكان منافسةً الأذان للصلاة وانتشار اللواط في كابل بشكل مرعب والسرقات والخطف والاغتصاب وكل هذا

كان تحت علم وسمع وبصر الحاكم رئيس الحكومة وقتها وهو الخائن \ برهان الدين رباني الذي عندما ذهب إليه الإخوة بعد ما رأوا الحال المزرية في كابل وتحدثوا معه عن انتشار بيوت الدعارة بشكل علني وأن عليه أن يغلقها فرد عليهم وقال (لو أغلقنا هذه البيوت فمن أين ستأكل هذه النساء) ، بعد قضاء عدة أيام توجهنا شمالاً وفي منطقة "جبل السراج" تعطلت بنا السيارة بسبب كثرة الحمل عليها فاضطررنا للنوم لساعات في المقاهي القديمة المتواجدة هناك حتى الصبح وكانت ليلة باردة جداً وفي الصباح لم نستطع إصلاح السيارة فاضطررنا لإكمال الطريق على ظهر إحدى الشاحنات وظللنا ننتقل من شاحنة إلى أخرى كلما وصلنا إلى آخر محطة لتلك الشاحنة وعبرنا مدينة نهرين وخنجان حتى وصلنا إلى مدينة "قندز" وقد استغرقنا عدة أيام كنا ننام فيها إما في المقاهي أو على الأرض أو على ظهر الشاحنة حسب الظروف ، وبعد الوصول لقندز توجهنا لمضافة خطاب هناك فاستقبلونا الإخوة واسترحنا لأيام ثم توجهنا إلى تخار وهناك استرحنا في مضافة خطاب هناك أيضاً ،

وتخار مدينة ليست بالكبيرة ويوجد بها مقر قيادة حزب النهضة الطاجيكي وهناك يقيم عبد الله نوري زعيم الحزب وبعد الاستراحة لأيام أخذنا سيارة خاصة وتوجهنا شمالاً باتجاه مدينة "تشياب" وهي آخر محطة ستكون لنا داخل أفغانستان وتحركنا باتجاهها بعد الفجر وكان وصولنا إليها قبل المغرب بقليل ، طبعاً كما ذكرت سابقاً أخذت هذه الرحلة من وقتنا خمسة وعشرون يوما لم نر خلالها الطرق المعبد "المسفلت" سوى داخل مدينة جلال آباد أو كابل أما باقي الطرق فكانت ترابية وكان تنقلنا في مناطق ترابيه وأحياناً جبلية ونومنا حسب الظروف فأحيانا بيت وأحياناً مقهى وأحياناً العراء وكنا نضطر لتغيير الطريق إلى أطول منه بسبب القتال بين الفصائل أو بسبب قطاع الطرق وأحياناً بسبب بعض القبائل الذين يضعون نقاط تفتيش على الطريق فمن لا يدفع لهم يرجعونه وأحياناً إن كان السائق من قبيله بينها وبينهم خلاف فيرفض الذهاب من ذلك الطريق تجنباً للقتل وأذكر أننا كنا في كل نقطة "سيطرة" يضطر السائق لجمع المال من الركاب ليدفع لنتمكن من

العبور فالسائق يرفض أن يدفع لوحده ، بعد الوصـــول إلى تشياب استقبلنا الإخوة بكل حفاوة وكان في البيت عـــدد من الإخوة العرب والأتراك ممـــن ينتظـرون للـــذهاب إلى طاجيكستان والبعض الآخر كانوا خرجوا من طاجيكستان لظروف مختلفة وأخذنا أمـــير المـــضافة إلى مكـــان نومنـــا واستراحتنا وهي عبارة عن خيام حيث أن المضافة مكونـــه من غرفتين للإدارة وعدد من الخيام للمقاتلين ثم بقينا عـــدة أيام نستريح فيها وأيضاً لنجهز أنفسنا للمرحلة الأخيرة من السفر إلى طاجيكستان وهي السفر مشياً على الأقدام لمـــدة ثلاثة أيام حتى نصل لنهر جيحون حيث مقر القائد خطاب رحمه الله الخلفي في الضفة المقابلة في الجانب الطاجيكي لأن نهر جيحون هو الفاصل بين طاجيكستان وأفغانستان في تلك المنطقة ولفت انتباهي أثناء وجودي في تشياب مســـتشفى يعتبر متطور مقارنة بالحالة في بلدة صـــغيرة وفقـــيرة مثـــل تشياب وقد أقام هذا المستشفى القائد خطاب رحمه الله من أجل علاج الشباب الجرحى الذين يصابون أثناء القتـــال في طاجيكستان ويستلزم علاجهم عناية طبية وهو ما لا يمكـــن

توفره في جبهة القتال وفي نفس الوقت فتح بـــاب العـــلاج مجاناً لأهالي بلدة تشياب من رجال ونساء وأطفال وهذا ما جعل خطاب محبوباً من أهل البلدة جميعاً وســـهل مـــسألة وجود العرب والمقاتلين الطاجيك في البلدة ذهاباً وإياباً دون مشاكل كونهم غرباء .

في اليوم المقرر للسفر تجاه طاجيكستان تحركنا بعد صـــلاة الفجر وكان عددنا من العشرة إلى الخمسة عشر على مـــا أذكر وكل واحد منا يحمل حقيبته على ظهره وفوقها كيس النوم ومطاره الماء وبعضهم يحمل الجعبـــة (لحمـــل مخـــازن الرصاص) والرشاش أما أنا فلم أكن أملك ســـلاح ســـوى سكين اشتريتها من باكستان للضرورة ، بدأنا المسير وأنا في غاية الحماس مع محاولة عدم التذكر أن أمامنا ثلاثة أيام من المشي حتى نصل وفي الطريق جبل نضطر لصعوده وبدأنا في صعوده في الساعة السادسة صباحاً و وصلنا إلى قمتـــه في الساعة الثانية ظهر فجميـــع الـــشباب كـــانوا نـــشيطين ومعنوياتهم مرتفعه فاتفقنا أن نـــستعجل في المـــشي قـــدر المستطاع حتى نختصر الوقت وأذكر أنني واجهتني مـــشكلة

أثناء مجيئي من باكستان حيث إنقطع حذائي من المقدمة فهو الذي كنت أستخدمه في المعسكر وبدأ إصبعي الكبير في الظهور من الأمام شيئاً فشيئاً ولم يكن لدي المال الكافي حتى أرفه نفسي بشراء حذاء جديد فالمال الذي لدي كنت أحفظه كان لمصاريف السفر والتنقل والضرورة وكنت على استحياء من أن أخبر أحد الإخوة الذين معي بالموضوع وتركت الأمر لله يفعل ما يشاء وما حصل في هذه المسيرة أن أصابع قدمي خرجت كلها من مقدمة حذائي الرياضي وبدأت تعيقني في المشي فاضطررت لخلع حذائي والمشي حافياً لأن أصابع قدمي بدأت تتأذى الحذاء وأثناء مشينا لاحظ أحد الإخوة أنني أسير حافياً فسألني عن السبب ولم يكن أمامي حل سوى أن أخبره بالحقيقة فغضب مني وقال لي لماذا لم تخبرني ألست بأخوك ثم أخرج لي حذاءاً جديداً كان معه ليعطيني إياه فرفضت لأنه قد فات الأوان على لبسه فأصابع قدمي التي كانت في الحذاء قد امتلأت بالتقرحات ولو لبست أي حذاء قبل أن تجف فسوف تكون كارثة على قدمي فآثرت أن أسير حافياً على أن تزيد حالة

أصابعي سوءً فأمامي مشوار طويل ، وبعد صلاة العشاء كنا قد وصلنا إلى إحدى القرى فبتنا فيها إلى قبل الفجر بقليل ثم بعد الفجر واصلنا سيرنا وطوال فترة طريقنا كنا نشتري طعامنا الذي نحتاجه من القرى التي نجدها في طريقنا وهو عبارة عن الخبز والتوت المجفف فهو المتوفر وأيضاً ليس لدينا الوقت للبحث عن طعام أفضل فنحن في سباق مع الوقت حتى نصل في أقصر مدة ممكنه وحقيقة لم يكن لدينا شيء مهم يجعلنا نستعجل في سيرنا ولكننا دخلنا في حالة تحدي مع الطريق ومع أنفسنا وكان يدعمنا في ذلك روح الشباب وحب المغامرة والتشوق لرؤية طاجيكستان فقد كانت لي ولبعض الذين معي أول جبهة جهادية فكان حماسنا وشوقنا يدفعنا دائماً للأمام ، وقد يستغرب البعض من عدم استخدامنا للدواب من خيول وبغال وحمير في تنقلنا بدلاً من السير على الأقدام كل هذه المسافة وصراحة الإجابة لم أكن أعرفها في بداية الأمر ولكن بعد مرور الأيام و وصولي إلى طاجيكستان عرفتها وهي أن الإخوة في طاجيكستان كانت حياهم صعبة بسبب الطبيعة الجغرافية للمنطقة كونها جبلية

وعدم إمكانية توفر طعام جيد دائماً ومثل هذه الأجـواء لا يصبر عليها إلا الرجال فأراد الإخوة تعويد الشباب الجـدد على الشدة والبعد عن الترف حتى يستطيعوا التعايش مـع الوضع في طاجيكتسان وأقولها بكل صـراحة أن ركـوب دابة في مثل تلك الظروف التي عشناها في طاجيكتسان هو ترف بحت ومما لا يليق بالمجاهد الصبور المثابر وكمـا قـال الشيخ عبدالله عزام رحمه الله " إن الترف هو عدو الجهـاد الأول " ، وبعد ظهر اليوم الثاني لسيرنا تـراءى لنـا نهـر جيحون واقترب الوصول للإخوة شيئاً فشيئاً وبعـد قليـل وصلنا بحمد الله إلى ضفة النهر المقابلة لطاجيكستان .

وللحديث بقية